تربية

ميرنا الشدياق

هجرة طلاب لبنان مستمرّة ومؤشرات خطيرة دكاش: خسارة مسيئة إلى البلد والعلم رأسمالنا

من اخطر ما يواجهه لبنان هو فقدان شبابه لشعور الانتماء الى الوطن. الامل يبدأ بتأشيرة وتذكرة سفر والرحيل بأي ثمن. لبنان يطرد شبابه، اذ ان الادمغة تهاجر على مرأى من الدولة من دون ان تحرك ساكنا. صحيح انها ليست ظاهرة جديدة الا انها زادت حدة في السنوات الاخيرة وباتت مصحوبة بمشاعر نبذ اكثر عمقا للبنان

"ارغب في بدء مشواري في المكان الذي ارى فيه بوضوح مستقبلي"، "لا اريد النظر الى الوراء مرة اخرى"، "نريد الرحيل..."، وغيرها من العبارات التي تختصر واقع الكثير من الطلاب اللبنانيين الذين يريدون الهرب من مأزق يعيشه البلد منذ سنوات، فيما الحلول مؤجلة.

اما الاهل فيشجعون اولادهم على السفر لمتابعة دراستهم في الخارج، والسبب الاساس يكمن بحسب قولهم في ضبابية الحاضر والمستقبل في لبنان. فكل بضع سنوات، اما هناك حرب من الخارج الى الداخل، او توترات في الداخل، او ازمات مالية واقتصادية، او خلل امني من اغتيالات وما الى هنالك، مع ما يتبع ذلك من انقسام سياسي.

السبب الثاني يعود الى عدم قدرة الاهل على تعليم اولادهم في جامعات خاصة مرموقة. وبالتالي اذا بقوا في لبنان ليس لديهم خيار سوى الالتحاق بالجامعة الوطنية. هنا المعضلة بسبب ارتباط المؤسسات التعليمية الرسمية على مختلف مستوياتها في لبنان بواقع الدولة اللبنانية وهي تشهد اضرابات متتالية وعدم اكمال المناهج وعدم تمكن الطلاب من التحصيل الوافي، علما ان الجامعة اللبنانية كانت من الجامعات ذات الصيت المميز.

بينما في الخارج، وتحديدا في فرنسا، حيث يذهب عدد كبير من الطلاب، تتوافر امكانية التعلم بمستويات عالية جدا وفرص عمل خلال التعلم، وبالتالي "يعملون ويتعلمون". اضافة الى وجود ضمانات عدة واسباب مريحة للتحصيل العلمي والخدمات على انواعها متوافرة، والاهم من ذلك بحسب الاهالي الذين يشجعون اولادهم على السفر ان ليس هناك في فرنسا تمييز بسبب الدين او العرق... اذ ان الكفي هو الذي ينجح ويحقق فرصة عمل تليق به وتمكنه من الاستمرار في الحياة بشكل لائق بينما هذا الامر غير متوافر في لبنان لان الزبائنية قتلت الطموح لدى الشباب اللبناني. ما يشجع الاهالي والطلاب اكثر هو الاستثمار في الشباب اللبناني في المستقبل عبر البحث عن حيازة جنسية دولة اجنبية باعتبار ان هذه الجنسية تعطيه مكاسب اضافية تؤمن له حماية اجتماعية وهو ما ليس متوفرا في لبنان. لا شك في ان القلق دائم لدى الشباب اللبناني، اذ هناك قلق على المستقبل اذ لا وجود لضمان شيخوخة ولا حماية اجتماعية ولا طبابة لائقة. هذا الامر يراه الطلاب والاهل متوافرا في الدول الغربية حيث هناك اطمئنان للغد. صحيح انهم يدفعون الضرائب المرتفعة، لكن عند التقاعد يتمتعون بحياة لائقة فرحة وليست بائسة، لان المتقاعد في لبنان يدخل في حالة من البؤس والاحباط لعدم توافر اي من مقومات الاستمرارية الا اذا كان لديه ابنة او ابن يكفله او يساعده على اكمال حياته. لكل هذه الاسباب تصبح العودة الى لبنان محصورة فقط بالزيارة لتفقد الاهل طالما انهم على قيد الحياة.

من هنا، فان هذه الهجرة الحالية تشكل مأساة حقيقية نتيجة انعكاساتها السلبية الكبيرة على الديموغرافيا في لبنان، مع تراجع نسبة الفئة الشابة لصالح فئة الكبار في السن، كما لها تأثير في تراجع الانتاجية وخسارة الادمغة والطاقات البشرية.

مؤشرات عدة تدل الى خطورة ما ينتظره المجتمع اللبناني. المؤشر الاول هو الهجرة، اذ بحسب "الدولية للمعلومات" بلغ عدد المهاجرين 180133 في عام 2023 مقارنة بـ59269 عام 2022، وقد وصل العدد الى 626183 من عام 2012 الى عام 2023 شخصا.

المؤشر الثاني تراجع عدد الطلاب اللبنانيين في المدارس الرسمية من 293334 طالبا في العام الدراسي 2022 الى 263687 طالبا في العام 2023، اي اقل بـ29647 طالبا انتقلوا الى المدارس الخاصة.

المؤشر الثالث تراجع الولادات من 92957 عام 2018 الى 66866 عام 2023.

المؤشر الرابع تراجع الزواج من 36287 الى 30553.

كل هذه المؤشرات، لاسيما تراجع الزواج والولادات وازدياد الهجرة، تدفع بالجميع الى الحذر من المستقبل، اذ ان 70 في المئة من المهاجرين والمسافرين من الفئات الشابة تتراوح اعمارهم بين 25 و40 سنة، وبالتالي اذا استمرت هذه الوتيرة ستنقلب تركيبة الشعب اللبناني من شعب فتي الى شعب هرم. واذا تم اعتبار الفئات الشابة من سن 21 الى 49، وهي تشكل تقريبا 39 في المئة من الشعب اللبناني، وفي حال تراجعت الولادات وازدادت الهجرة، ستنقلب القاعدة بحيث تصبح هذه النسبة اقل من 30 في المئة بينما 70 في المئة فوق الخمسين عاما وبالتالي يصبح الشعب اللبناني شعبا هرما.

ولأنه لا يمكن لوم اللبناني على اتخاذ قرار الهجرة واللاعودة، فمن حقه تحقيق طموحاته والبحث عن حياة آمنة وكريمة له ومستقبل افضل لعائلته، فان هذا الموضوع يجب ان يكون اولوية لدى المستوى السياسي

رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت البروفسور سليم دكاش اليسوعي.

في لبنان. فقضية الشباب ليست مجرد شعارات في البيانات الوزارية او خطابات القسم تتلا ولا تنفذ. يجب ان تكون اولوية الاولويات الحفاظ على العقول الشابة التي يعول عليها لاعادة بناء البلد واعادة الثبات والاستقرار لكل قطاعاته ومؤسساته. للاسف، هذه الاولوية مفقودة، لذلك نجد ان من لا ينتمون الى الاحزاب ومن يرفضون التقوقع الطائفي او الانهزام المذهبي، يرحلون عن هذا البلد بحثا في الفضاءات الغربية عن مستقبل واعد غير متوفر في لبنان.

في هذا السياق اجرت "الامن العام" حوارا مع البروفسور سليم دكاش اليسوعي رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت ورئيس رابطة جامعات لبنان.

■ لماذا طلاب لبنان يغادرونه اليوم؟

□ هناك سببان: اولا لانهم لا يرون المستقبل في لبنان، كما ان الاهل والاساتذة احيانا ينصحون الطلاب لتجربة حظهم خارج لبنان وتأسيس حياتهم عبر شهادة تؤخذ من جامعة اجنبية، ومن ثم ايجاد وظيفة تؤمن حياتهم لمساعدة الاهل في لبنان. وهو لا شك سبب رئيسي، اذ ان هناك انعدام ثقة بمستقبل البلد للاسباب

> **هاجس ما بين 68% من الطلاب الى 72% مغادرة لبنان**

السياسية المعروفة، والازمة الاقتصادية الى الازمة الامنية التي نعيشها وتؤثر بشكل كبير على جو الشباب الذين يعتقدون ان هذا البلد لا يمكن العيش فيه. السبب الثاني، رغبة الجامعات الكندية والفرنسية وبعض الجامعات الاميركية او البريطانية او حتى الالمانية التي دخلت مؤخرا على الخط في اقتناص الطلاب الذين انهوا البكالوريا في لبنان لادخالهم في المسار التعليمي العالي، فيربحون بالتالي هؤلاء الطلاب اللبنانيين المميزين. كما اننا نشهد هجرة بعض الطلاب بعد نيلهم الاجازة لمتابعة الدراسات العليا في الخارج وهنا تقع المسؤولية علينا لأن الاتفاقات التي وقعناها مع جامعات عدة من اجل الدراسات العليا تسهل امكان توجه الطلاب الى الخارج. لدينا مثلا في جامعة القديس يوسف الشهادة المشتركة التي تجبر الطالب على العودة الى لبنان، ولكن بما انه نال ايضا شهادة من جامعة اجنبية مباشرة، يصبح الرحيل الى الخارج اسهل. اظهرت استطلاعات الرأي التي قمنا بها مع الطلاب ان هاجس ما بين 68 الى 72 في المئة منهم هو في مغادرة لبنان عند انهاء دراستهم في لبنان. المشكلة الكبرى التي نواجهها حاليا ونلاحظها كذلك من خلال الارقام، خصوصا في العام الجاري، ان هناك تقريبا نصف عدد الطلاب الذين يحصلون على البكالوريا الفرنسية من المدارس المعتمدة من وزارة التربية الفرنسية، يغادرون لبنان بعد البكالوريا. هذا الرقم من مصادر فرنسية موثوق بها. في السنوات الثلاث الاخيرة تقريبا، هناك حوالى 3000 الى 3500 بحسب السنوات يغادرون لبنان. ويتوجه تقريبا الثلثان منهم الى فرنسا والثلث يتوزع ما بين كندا والولايات المتحدة والمانيا. لا شك هي مشكلة كبيرة. هناك ايضا من ينالون البكالوريا اللبنانية الذين يملكون القدرة ايضا على الذهاب الى فرنسا بسبب توفر المعادلة في الشهادات. بمعنى ان تقديراتنا بحسب الارقام المتوافرة لدينا ان هناك ما لا يقل عن 4000 طالب تقريبا ما بين الاجازة والماستر يتركون سنويا لبنان الى فرنسا، وهذا الرقم تضاعف بالنسبة الى عامي 2018 و2019. كانوا يعطون 1500 فيزا في العام، اليوم وصلنا الى 3000 و4000. بحسب بعض الاحصاءات التي اجرتها "الدولية للمعلومات"، غادر لبنان خلال 25 سنة الماضية حوالى 80 في المئة او 75 في المئة من العقول المفكرة او النيرة ومن القدرات اللبنانية المتقدمة. هذه مشكلة كبيرة، اذ ان البلد يفرغ من مقومات الحياة الجيدة ومن الاركان المثقفة.

■ ماذا تفعلون كمؤسسات تعليمية لثني هؤلاء الطلاب عن المغادرة؟

□ نحن نحاول مساعدة الطلاب الذين لا امكانات لديهم على دفع المستحقات. كما تحاول الجامعات الكبرى المساعدة بحسب ◄

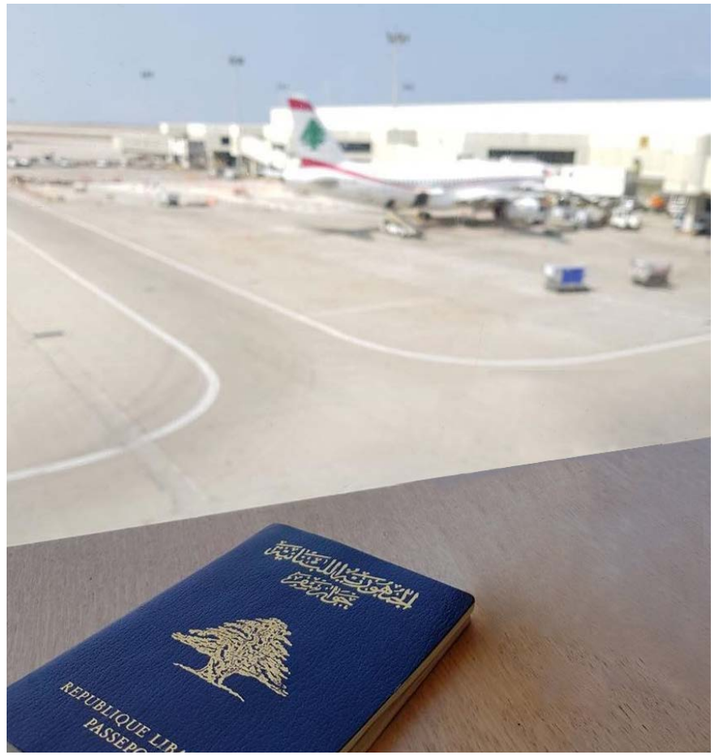

امكانات كل منها وبحسب مستوى اقساطها. نحن مثلا ننهي هذا العام بحوالى 18 الى 20 مليون دولار اميركي مساعدات للطلاب ليبقوا هنا، وكذلك الامر بالنسبة الى العام المقبل. لكنني لاحظت ان عدد المسجلين في العام المقبل اقل بنسبة لا يستهان بها عن السنة الماضية، مما يشكل لدينا نوعا من الاسى.

■ هناك من يعتبر ان كلفة التعلم في الخارج اصبحت اقل من كلفة التعلم في بعض الجامعات الخاصة، ما رأيك في ذلك؟

□ هذا غير صحيح، لان الحياة في اوروبا اليوم اصبحت باهظة حتى لو كانوا يدفعون قليلا في الجامعات الفرنسية، الا ان متطلبات الحياة اليومية تزداد 4 الى 5 مرات اكثر من تلك الموجودة في لبنان. هذا السبب غير صحيح اطلاقا. ما يحصل هو اضطرار بعض الطلاب على العمل بشكل غير رسمي لتغطية نفقاتهم مما ينعكس بشكل سلبي على نيلهم الشهادات المميزة. جامعاتنا لا تزال تؤدي قسطها وواجبها من ناحية جودة الشهادات التي تعطيها اكثر بكثير من ما تعطى خارج لبنان. كما ان جامعاتنا مستعدة للمساعدة، فنحن كجامعة نساعد حوالى 120 طالبا يتعلمون مجانا. كما ان نسبة المنح الجامعية تصل الى 55 في المئة التي يستفيد منها الطلاب. ليس من الضرورة ان يكون مستوى الجامعات في الخارج افضل من لبنان.

> **ننهي هذا العام بحوالى 18 الى 20 مليون دولار مساعدات للطلاب للبقاء في البلد**

■ لماذا دول كفرنسا تهتم بالطلاب اللبنانيين؟

□ تأتي الجامعات الفرنسية كل عام الى لبنان. وهذا العام لم ياتوا بسبب الاحداث، اذ انه كان سيزور لبنان حوالى 30 جامعة كانت ستنظم على مدى ثلاثة ايام ملتقى مفتوحا للطلاب اللبنانيين لتسجيلهم. اهتمامهم يعود الى ان الطالب اللبناني ملتزم ومثقف ويتلقى تعليما ذا مستوى في معظم المدارس الخاصة ويعطي المثل الجيد عندما يتوجه الى اي جامعة خارج لبنان، وهذا الامر مرغوب لدى الفرنسيين.

■ ماذا يخسر اليوم لبنان بسبب هجرة شبابه؟

□ يخسر كثيرا. يخسر المواطنية في الدرجة الاولى، اذ عندما يتعلم الطالب في جامعاتنا يكتسب قيما وطنية والتزاما ومحبة اضافية للبلد. كما انه يعطي من ذاته ويتعلم التطوع والالتزام الوطني. لبنان يخسر كفايات على مستوى التعليم العالي المهم، وهو اساس ديمومة بلد كلبنان. كما انه يخسر فئة الشباب، وهذا ما لاحظناه في تدني نسبة عنصر الشباب كثيرا اي من هم بعمر الجامعة ما بين 18 و24 بسبب مغادرتهم لبنان.

■ بماذا تتوجه الى القيمين على السياسة التعليمية في البلد؟

□ يجب ان يتنبهوا الى هذا الواقع لأن البلد يخسر الكثير. يجب ان يبقى التعليم العالي الركيزة ورأسمال البلد، اذ ان رأسمالنا هو العلم والكفايات. نحن نخسر كل مَن يذهب لمتابعة الدراسات العليا في الخارج او للعمل، كما نخسر كل مَن يتابع دراسته الجامعية في الخارج. هذه الهجرة تزداد اكثر فاكثر وهي خسارة مسيئة جدا للبلد.

مكتب شؤون الإعلام
نضحية . خسنة